

المحافظة على هويتنا الجزائرية

الأستاذ بولعراس منصوري

المعهد الوطني للتكوين المتخصص للأسلاك الخاصة
بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف سيدي عقبة، بسكرة

المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت: «... سمعتُ عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله...»⁽⁴⁾. فقول أبي ياسر (أهو هو) إشارة إلى شخص النبي ﷺ وصفاته الموصوف بها في التوراة.

وعرفها ابن حزم بقوله: وَحَدُّ الهوية هو أن كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه، إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة، فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر⁽⁵⁾.

بعد تعريف كلمة "هوية" نشير إلى مكونات الهوية كما حددها الكثير من العلماء، وهي: الثقافة،

في البداية سأحاول تعريف مصطلح البحث، ألا وهو كلمة "هوية": وردت كلمة "هوية" في معاجم اللغة بمعنى: «بئر بعيدة المهواة»، وقيل: هي تصغير كلمة (هوة)، وهي: «كل وهدة عميقة»⁽¹⁾. والهوية: تعني حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وتُسمى أيضاً وحدة الذات⁽²⁾. وهي بهذا المعنى تتساوى مع مصطلح (هو هو) الفلسفي، والذي يشير إلى ثبات الشيء بالرغم مما يطرأ عليه من تغيرات، فالجوهر هو هو وإن تغيرت أعراضه⁽³⁾.

وقد ورد هذا المصطلح (هو هو) بنفس المعنى السابق في حديث أم

التاريخ، العقيدة.

بحسب الترتيب المشار إليه آنفا.

المكوّن الأول: الثقافة

تتكون الثقافة من ثلاثة عناصر:
عنصر طبيعي، وعنصر وراثي،
وعنصر اكتسابي:

أ. **العنصر الطبيعي:** وهو صفة
فطرية توجد في الإنسان بالطبيعة،
وليس له اختيار في خلقها وإيجادها.
ب. **العنصر الوراثي:** وهو صفة
تنتقل إلى الجنين - عن طريق أبويه
وأجداده - من المادة الحيوية، التي
تتكون منها أجزاؤه.

ج. **العنصر الاكتسابي:** ونعني
بذلك كل ما يتأثر به جسم الإنسان
وعقله وشواعره؛ عن طريق
الاكتساب والاختيار بعد ولادته⁽⁷⁾.
وهذا العنصر يتفرع عنه ثلاثة روافد:
رافد جغرافي، ورافد غذائي، ورافد
اجتماعي. وهذا العنصر الأخير -
الاكتسابي - لا بد له من مغذيات
داخلية وخارجية، نعتبرها هي
الوسائل التي بها تبنى الثقافة ومن

أولاً - الثقافة: هي نضج في
العقل، ووعي في القلب، وإرهاق
في الشعور، واستقامة في السلوك،
وحدق في الأشياء علماً وعملاً⁽⁶⁾.

ثانياً - العقيدة: بالنسبة لهذا
المكوّن الثاني يجب أن تُغرس
عقيدة الآباء والأجداد التي نهلوا
من نبعها الصافي في مدرسة مدينة
رسول الله ﷺ .

ثالثاً - التاريخ: بالنسبة لهذا
المكوّن الهام يجب أن يدرس في
جميع مراحل الدراسة، ولجميع
التخصصات حتى في الجامعة،
فالأمة التي تجهل ماضيها، لا تكون
لها رؤية واضحة نحو المستقبل.
والأمة التي تحفل صفحات تاريخها
بالأمجاد والبطولات، تُورث أبنائها
اعتداداً وعزة بالذات، يفتقر إليهم
أبناء بعض الشعوب الأخرى.

ونظراً لتشعب هذه المكوّنات،
وأهميتها في نفس الوقت، سوف
أخصص لكل مكوّن بحث مفرداً،

ثم الهوية:

الوسائل الداخلية: وهي إحدى عشرة وسيلة أساسية: السمع - البصر - الانتباه - الإحساس - التدبر - الاستماع - السؤال - الجسارة - التواضع - القراءة - الكتابة.

الوسائل الخارجية: وهي ست عشرة وسيلة: الكتاب - الزاوية - المسجد - النادي - المكتبة - المتحف - المدرسة - الجامعة - المجلة - الخدمة الوطنية - قطاع السمعي والبصري - التلفزة - الصحيفة - الإذاعة - السينما - المسرح⁽⁸⁾.

ومن خلال هذه الوسائل نستطيع تحديد المؤسسات أو الهيئات المسؤولة عن خلق الثقافة والمحافظة على هويتنا وتوجيهها، فما هي هذه المؤسسات ياترى؟ أعتقد أن مراكز صناعة الثقافة، ومن ثم الحفاظ على الهوية، هي الوزارات الوطنية الآتية: الشؤون الدينية، التربية الوطنية، الثقافة،

التعليم العالي، الدفاع الوطني، الإعلام والاتصال. وذلك بواسطة مؤسساتهم المختصة في هذا المجال.

مشكلة عدم وضوح الهدف، إن لم نقل لا وجود له كلياً:

إن حالة الوهن الحضاري التي نعيش فيها تجعل إدراكنا لأهدافنا يتم بطريقة مبتذلة أو رتيبة، كما أن تراكم الضروريات فوق رؤوس الناس جعلتهم ينشغلون بتحقيق إنجازات صغيرة⁽⁹⁾. كما أنه: ليس من السهل على أفراد المجتمعات أن يحيطوا بكل المفردات الثقافية السائدة عندهم، ويتمثلوها تمثلاً كاملاً؛ فهناك في الثقافة أجزاء ومستويات غير شفافة يصعب اختراقها، واجتراحها بالكلية. ومن ثم فإن هضم الناس لثقافتهم سيظل متفاوتاً بداهة⁽¹⁰⁾.

ليست الهوية الوطنية شيئاً يُستخرج من بطون أمهات الكتب، ولكنها هي عبارة عن اكتشاف دائم

ثقافة التساؤل - اضطراب منهجية التفكير - قصور التفكير الجدلي - ضعف الحاسة النقدية⁽¹⁴⁾.

فلا بد لنا من تقويم لهذه المستويات حتى نستطيع بناء الشخص الذي يمتلك حس المواطنة، والشعور بالمسؤولية اتجاه وطنه ومجتمعه، لذلك لا بد من توفر شروط أساسية لتنمية الشخصية، مثل: شروط أساسية لتنمية الشخصية: وجود هدف أعلى - وجود قناعة بضرورة التغيير - قبول الذات - الشعور بالمسؤولية - الإرادة الصلبة - شيء من التحدي⁽¹⁵⁾.

مع هذه الشروط يجب ألا نهمل خصوصية العقل العربي الإسلامي الذي كونه الثقافة الإسلامية المستمدة من الوحي، فإنه عقل معياري يعمل ضمن إطار مشيّد بالأصول والثوابت، ومن ثم فإنه حين يعالج الأفكار لا يبحث عن مكوّناتها الذاتية، ولا يحاول الكشف عما هو جوهري فيها، بل يبحث

نتيجة التفاعلية والفاعلية الحضارية للأمة في كل زمكانها. وإذا خفت طيف التفاعل تدريجياً سوف يحدث اختلال توازن في المجتمع، ويحدث الشقاق الثقافي، الذي يؤدي إلى أفول وذوبان الهوية شيئاً فشيئاً، وهذا يعود لأسباب، منها: «دفع الثقافات الأجنبية - محتتنا مع بعض المثقفين - الركود الحضاري - الجدل بين القديم والحديث - الموقف من التراث»⁽¹¹⁾.

وهذا الشقاق لا يكون في الأمم المتطورة، بل يوجد في المجتمعات النامية التي تمتاز أخلاقها وذهنيتها بـ: ضعف الفاعلية - قلة الاكتراث بالوقت - ضعف المبادرة الفردية - النمطية - الانفرادية - الشكلية - مقاومة التغيير⁽¹²⁾. أمّا على المستوى النفسي فيكون السائد فيها: القهر - فقد الثقة بالنفس - الشخصية الازدواجية - الآنية - الشعور بالدونية - طغيان الانفعال - الإسقاط⁽¹³⁾. أمّا على المستوى الفكري فيكون السائد فيها: ضعف

3. عند تقدم السن يصيب النفس البشرية نوع من السامة والتكلس، كما أن الانفعال والتفاعل مع الجديد تنخفض درجته إلى حد بعيد، وكذلك التطلع إلى المستقبل يخف.

4. ليس للشباب . في العادة . مصالح ومنافع مرتبطة بالأوضاع القائمة، فهو مازال هش الارتباط بالحياة كلها، ومن ثم فإنه لا يرى في الجديد خطراً على ما استحوذ عليه من نفوذ أو متاع ضئيل، أما كبار السن فشأنهم مختلف. ولهذا كان تركيز المصلحين على الشباب عملاً منطقيًا وعلميًا، فهم رمز المستقبل وأمل التجديد⁽¹⁷⁾.

ويجب علينا أن نراعي أثناء تكويننا لشبابنا تنمية التربية الفكرية (العقلية) فيهم مع عدم إهمال الجانب الأخلاقي لديهم، فالعلم والأخلاق متلازمان، وهذا الأمر يجب أن يعرف من قبل المكونين قبل المتكونين فالعقل يستسلم حين

لكل فكرة عن مكانها وموقعها في منظومة (القيم) التي يتخذها العقل المسلم مرجعاً له ومرتكزاً⁽¹⁶⁾.

ومن المزايا التي تميز الشعب الجزائري، أن غالبية شباب، لذلك يجب علينا التركيز على الفئة المسيطرة على التوزيع الجغرافي للخريطة الجزائرية، كما أنهم يتقبلون التغير أكثر من كبار السن، والسبب في ذلك:

1. لا يكون التكوين الثقافي لدى الشباب مكتملاً مهما حصلوا من العلم؛ لأن بعض عناصر الثقافة لا تتم السيطرة عليه واستيعابه إلا من خلال شيء من نضج التربية الحياتية؛ وهذا يعني أن المسلمات الثقافية لدى الشباب ليست حادة ولا مكتملة.

2. يتحلى الشباب بالمرونة الذهنية بسبب حداثة السن؛ فالإنسان متصلب آلية التفكير والاستيعاب والتكيف لديه على نحو يحاكي تصلب الجهاز الحركي عنده.

المثقفة مسؤولية كبرى اتجاه شبابهم وأمتهم، بدل الانزواء والانطواء في المكاتب بل: إن مهمتنا على مستوى الأفكار أن نجعل فكر الأقلية المتميزة الراشدة فكراً للأكثرية المشغولة بالكفاح من أجل البقاء، والصادرة في التمتع بالملذات؛ وما ذلك بالمطلب اليسير!⁽²⁰⁾.

ومن نعم الله تعالى على شعوبنا المغاربية الوحدة المشتركة أو التجانس الكبير على مستوى الهوية منذ أيام الأندلس، وهذا مما يساعدنا كشعب جزائري في الحفاظ على وحدتنا، ولكن مع التواصل السريع نتيجة تقدم العالم وقع لنا اختراق، أحدهما من الغرب وهذا يكون مدرك، والشعور به سهل عند كافة فئات الشعب نتيجة التباين البين على جميع الصُّعد بيننا وبين الغرب.

أما الاختراق الثاني واعتقد هو الأصعب الذي يكون من المشرق الإسلامي، بسبب القاسم المشترك

تضعف الأخلاق، يقول الدكتور بكّار: «يحرص كثير من الكتاب العرب على أن يظهروا في كتاباتهم بمظهر (العقلاني) البعيد عن التحيز للمبادئ الأخلاقية، وسيطر على كثير منهم شعور بأن الدعوة إلى الأخلاق إرث من إرث الماضي، وظنوا أن مشكلة الإنسان لدينا تكمن في عدم امتلاكه منهجية قوية في التفكير... حتى إذا انحدر الناس نحو الهمجية، وسيطرت عليهم الأنانية أخذوا يجأرون بالشكوى من سوء الأحوال؛ وما دروا ما نحن فيه يعود في جانب منه إلى ما نفتته أقلامهم من التهوين من شأن الفضيلة...!!»⁽¹⁸⁾.

والسبب في ذلك: أن العقل والعلم قد يدلان الإنسان على كيفية العلاج وكيفية القتل، لكن المبادئ والأخلاق وحدها هي التي تحدد متى ينبغي أن يكون العلاج ومتى ينبغي أن يكون القتل!⁽¹⁹⁾.

ولذلك تقع على عاتق الطبقة

هو الحل، أم علينا أيضاً معاشة
الحاضر، واستشراف المستقبل؟

الجواب يكمن في الشق الثاني من
السؤال، أي: سلفية المنهج وعصرية
المواجهة: السلفية المنشودة، هي
سلفية المنهج، أي العودة بأصول
الفهم إلى الكتاب والسنة وقواعد
تفسير النصوص لدى القرون الثلاثة
الأولى، إلى جانب روح العطاء
والمجانية وشفافية البصيرة التي كان
يتحلى بها السلف الصالح. ونقصد
بعصرية المواجهة أن ندرك محاور
المعارك القائمة بين الإسلام وأهله
من جهة، وبين الفلسفات والنظم
العلمانية والمادية من جهة أخرى؛
وأن ندرك إلى جانب ذلك القضايا
الأكثر إلحاحاً والأشد حاجة
إلى أن نستثمر جهودنا الدعوية
فيها⁽²¹⁾. ولا يتأتى لنا هذا إلا بتنمية
معرفية، وخطة ثقافية موضوعة على
المستوى القريب والبعيد، من قبل
مؤطرين حاذقين يدركون بقرون
استشعاراتهم الفكرية كل تغير وكيف

من دين ولغة وعرق، أما على
المستوى الأنثروبولوجي (طبيعة
تكوين الإنسان، البيئة الموجود
فيها، العادات والتقاليد) فهناك تباين
يدركه كل لبيب، وهذا الاختلاف
سنة شرعية وكونية، ويجب التعايش
معه، وليس معنى هذا أننا ضد
الوحدة، بل نحن ضد التبعية، أما
الوحدة التي تحترم فيها خصوصية
التكوين، والقَبول بالامتزاج في
الإطار العام لكليات الإسلام فهي
المرحب بها. ولذلك يجب علينا
الحفاظ والدفاع على اختياراتنا التي
تمتد بجذورها في عبق الحضارة
الإسلامية إلى أن تصل بنا إلى مدينة
رسول الله ﷺ، سواء على مستوى
المذهب العقدي، أو المذهب
الفقهي، أو المذهب الإقرائي، أو
حتى الطريقة المختارة في تربية
وتزكية النفس، فعلى غيرنا احترام
خصوصيتنا؛ كما احترمنا نحن
خصوصيته!!

ولكن هل الانشداد إلى الأصول

يجب أن يوجه!!

والسؤال الذي يطرح علينا فآية
معرفة نريد أن ننمي؟

إن هناك قدراً من المعرفة يُعدُّ
ضرورياً لصحة إيمان كل مسلم،
وهناك قدر ضروري لاستقامة
عباداته ومعاملاته وعلاقاته وتحديد
أهدافه الكبرى. وهذا القدر ضروري
لكل مسلم ومهما كان تخصصه،
ومهما كان عمله... والمفترض أن
التربية البيئية بالإضافة إلى المناهج
الدراسية توفر هذا اللون من المعرفة
قبل الانتهاء من المرحلة الابتدائية
أو بعدها بقليل⁽²²⁾.

والمسؤولية هنا يتحملها المثقف
الحق - أو المفكر - الذي يتحمل
مسؤولية الريادة الاجتماعية، أي
المفكر الذي: تجاوز مرحلة تكديس
المعلومات في ذاكرته إلى مرحلة
الوعي الكامل بترابطاتها وتداعياتها
وأساليب التوليد منها ونتائج
تطبيقاتها. ويكون متجاوزاً لها
ومالكاً لناصريتها لا أسيراً لمنطوقها

ودلالاتها المباشرة⁽²³⁾.

إن مسؤوليات المثقف الحق أن
يصوغ الأفكار التي تساعد المجتمع
على تفجير طاقاته ومحاصرة
أخطائه وتصحيح مسيرته والنهوض
به. وبكلمة واحدة منح المجتمع
الرؤية الشاملة للوضع الذي ينبغي
أن يكون فيه⁽²⁴⁾.

هذا على المستوى الداخلي
حيث يجب أن نعرف كيف نكون
وننمي ونحافظ على استمرارية
ثقافتنا، ولكن على المستوى
الخارجي، ما هي الوسائل والآليات
التي يجب اتخاذها حتى نكون سداً
منيعاً أمام المحيط الخارجي، دون
أن نعزل أنفسنا عن الآخر أو نحدث
قطيعة معه؟

يقول الدكتور بكّار: إن الصراع
بين الحضارات من العوامل
الأساسية المساعدة على كشف
الهوية. وقد كان يظن أن الانغلاق
يؤدي إلى المحافظة عليها، ثم
أفادتنا الخبرة أن الانفتاح الواعي

الثقافة الشعبية للأمة. فمثلاً: «اختراق الثقافة الغربية لثقافات العالم الثالث، وتحويلها إلى محليات يتم بفعل اختراق الثقافة العليا. ومهما قيل عن التمايز بين ثقافة النخبة وثقافة العامة؛ فإن الصحيح أنهما يمثلان مستويين لثقافة واحدة، وبينهما من نقاط اللقاء أكثر مما بينهما من خطوط التقاطع؛... وحين يقع التصدع فإن الشق الأوسع سيكون بين الثقافة العليا والثقافة الشعبية»⁽²⁷⁾.

ولكي نعرف مدى محافظة أمة ما على هويتها، يجب النظر للقيم المسيطرة في المجتمع، فهي مقياس رقيه: ليس هناك مجتمع بلا مقاييس، كما أنه لا يوجد مجتمع من غير قيم، ومبادئ تحكم حركته حتى المجتمعات المنهارة تؤمن بمجموعة من القيم، لكن المسافات بين قيمها وواقعها شاسعة... ومن خلال سُلّم القيم ذاك تظهر القيم المركزية من القيم الهامشية، والقيم المسيطرة من القيم التزيينية...⁽²⁸⁾.

والمتكافئ على الثقافات الأخرى هو الذي يحافظ على الهوية من خلال حركة التبادل وقبول التحدي ومواجهته⁽²⁵⁾.

نستطيع القول إنّ الثقافة في المجتمع تنقسم إلى قسمين: ثقافة عليا، وثقافة عامة تستمد قوتها وتماسكها من سابقتها، والثقافة العليا تتمثل في صفوة الأمة وكوادرها، وهي المنتظر منها التأطير والدفاع عن هويتنا من الاختراق. «إن وعي الثقافة العليا بذاتها كثيراً ما يكون نتيجة وعيها بغيرها، وهذا يجعلها بوابة الاحتكاك بالثقافات الأخرى؛... ومن هنا فإن الاختراق الثقافي حينما يقع فإنما يقع من جهتها وليس ذلك بسبب الاحتكاك فحسب؛ بل لأن طريقة فهمها عبر منطقية محدودة يسهل اختراقها»⁽²⁶⁾.

فالثقافة العليا أو ثقافة النخبة هي صمام الأمان للأمة، وفي نفس الوقت هي نقطة الضعف التي منها يقع الاختراق، ومن ثم تتصدع

المذهب الأشعري في العقيدة،
والمذهب المالكي في الفقه،
والمذهب الجُنَيْدي في السلوك
والتربية. فنحن ننتمي إلى نسب
علمي سلفي أصيل - كما يُذكر أحد
الفضلاء بهذه المقولة دائماً - يمتد
إلى مدرسة النبي محمد ﷺ. فلماذا
ننكر هذا النسب؟ ويطلب منا الغير
أن نتسب إليه!! أليس التبني في
الإسلام حرام؟.

وقبل أن ندرج مع هذا المكوّن،
يجب علينا معرفته.

فما المقصود بالعقيدة يا ترى؟

العقائد هي الأمور التي تصدق
بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب،
وتكون يقيناً عند أصحابها، لا
يمازجها ريب ولا يخالطها شك⁽²⁹⁾.

و«العقود»: أوثق العهود، ومنه
قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁽³⁰⁾، وتقول العرب:
«اعتقد الشيء: صلب واشتدَّ»⁽³¹⁾.
والعقد: هو الربط والشد بقوة،
منه الإحكام والإبرام والتماسك

وفي نهاية هذا الإحياء السريع
للشق الأول من مكوّنات هويتنا (أي
المكوّن الثقافي)، نخلص إلى أنه
يجب علينا كمؤسسات وطنية
مختصة، وكفئات نخبوية، القيام
بحضانة دقيقة لثقافتنا وتورثيها
لشبابنا عن طريق مخطط واضح
نتمثله في حياتنا بصفة فطرية تلقائية
طبيعية في سلوكنا اليومي، الذي
ينتقل بدوره لأبنائنا بطريقة آلية،
حتى نبني مجتمعاً حدود المباح
والممنوع فيه واضحة، مجتمعاً
يشارك في بنائه الجميع، مجتمعاً
يحل مشكلاته عن طريق التفاهم،
مجتمعاً يحافظ على هويته ويدافع
عن وطنه الجميع.

المكوّن الثاني: العقيدة

بالنسبة لهذا المكوّن يجب أن
نُغرس عقيدة الآباء والأجداد التي
نهلوا من نبعها الصافي في مدرسة
مدينة رسول الله ﷺ. من خلال
المذاهب الثلاثة المعروفة، وهي
المُشَكِّلَة لمرجعيتنا الدينية، أي:

الفروع فهي ما سوى ذلك. وأصول الإسلام في اعتقاد أو تشريع مشهور أكثرها، وهي المسماة بما عُلِمَ من الدين بالضرورة. ففي ما يتعلق بالاعتقاد: كالإيمان بالله تعالى، ووحدانيته، والإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار، والإيمان بالملائكة والجن، والأنبياء والرسل، أما ما يتعلق بالتشريع: كوجوب الصلوات الخمس، والصيام، والحج، والزكاة، وتحريم الخمر، والزنى، والسرقة، والقتل، وعقوق الوالدين. ومن أصول المقاصد والمعاني الكبرى: التعاون على البر والتقوى وإجلال واحترام أهل السن والفضل، وتعظيم الحياء، والعفاف... إلخ⁽³⁴⁾.

والعقيدة ليست أموراً عملية، بل أمور علمية على المسلم أن يعتقدها في قلبه، لأنَّ الله أخبره بها بطريق كتابه، أو بطريق وحيه إلى رسوله ﷺ. وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الرُّسُلُ فَمَا نُنْزِلُ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

والمراصة والإثبات والتوثيق⁽³²⁾. فالعقائد إذن هي الأمور الواضحة التي يتقبلها الناس بقناعة نفسية وفطرية وعقلية، لا يساورها أدنى شك.

وكلمة العقيدة لم تكن موجودة في الكتاب والسنة ولا في أمهات معاجم اللغة، وإن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها (عقائد) هو القشيري (ت 437 هـ) في كتابه «الرسالة» وهي كلمة مولدة لم تكن في الصدر الأوّل⁽³³⁾. بالرغم من ذلك لم تُرفض هذه الكلمة، عند من يقف على ظاهر الكلمة بحجة أثريتها!.

العقائد علمية وقلبية:

لم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد اكتمال الدين واستقرار أصوله، والإسلام بشقيه الاعتقادي والتشريعي جملةً من الأصول والفروع، فأما الأصول فهي قطعيات الكتاب دلالةً، وقطعيات السنة ثبوتاً ودلالةً، وأما

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ
رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ
رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣٥﴾. (٣٦).

وجاء في مواضع أخرى قول
المولى ﷺ: ﴿وَلَكِنَّ أَلْبَرَّ مَن ءَامَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ﴾ (٣٧). ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٣٨). كما ذكرها
الرسول ﷺ في حديث جبريل عليه السلام
المشهور بقوله: «الإيمان: أن تؤمن
بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه،
ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر» (٣٩).

وأما فروع الإسلام فهي ما
سوى ذلك من الأمور والمسائل
التي لا يتوقف عليها بناء الإسلام
ولا تتصدع أركانه بدونها، وأكثر
هذه الفروع هي تفاصيل أو آثار،
أو مقدمات، أو شرائط للأصول
فإذا كانت الطهارة شرطاً لصحة
الصلاة (وهي أصل) وكان منها
الوضوء أو التيمم، فإن بعض تفاصيل

تلك الطهارة فروع كاشتراط النية
والترتيب... ولا يختلف أمر العقيدة
عما ذكرناه، إلا أن دائرة الاختلاف
فيه أضيق، من هذه الفروع، رؤية
الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج
لرب العالمين، ومنها آيات وأحاديث
الصفات... (٤٠).

هذه هي أصول الاعتقاد التي
يجب على المسلم الاعتقاد بها
اعتقاداً جازماً، بدليل الكتاب
والسنة، وهو دليل واضح الدلالة
وقطعي لا يحتاج إلى شرح أو تأويل
وفيهما جميع الناس على اختلاف
مداركهم، وهي أمور قلبية كما ذكر
أنفاً، ولا يجب الاختلاف فيها،
أما الأمور العملية فهي تتجسد في
قواعد الإسلام.

بعض المعتقدات غيب غير
منظور:

من خلال الآيات والأحاديث
الذاكرة لأصول الاعتقاد نلاحظ أن
من الأصول ما هو غيبي، ولا يدرك
بوسائل إدراكنا المحدودة (عقل،

تكن مقبولة في المسائل العلمية (أي القلبية أو الاعتقادية)، والسبب يعود إلى أننا لا نستطيع تصوّرها لأنها أمور غيبية، ولا تخضع لوسائل إدراكنا المُخصصة لمعرفة عالم الشهادة فقط. فعلى سبيل المثال وحتى ربما لا يفهم ما أكتب على أنه كلام نظري يفتقر للواقع، أذكر: مسألة الأسماء والصفات التي ضخمت أكثر مما تستحق من أناس أرادوا النصر لأنفسهم وتيارهم أكثر مما أرادوا نصره الحق، فتشرذمت الأمة بسببهم وشكك في عقائد أناس ولا يزال أحفادهم يفعلون ذلك إلى اليوم وتناسوا حديث من يوحى إليه «علينا بالظاهر والباطن»، فالمعروف تاريخياً أن الأسماء الحسنى لم يختلف فيها بين جميع الفرق الإسلامية، والبعض يستثنى من الاتفاق غلاة الجهمية فقط، دون الطائفة ككل.

إذن الاختلاف وقع في الصفات فقط، نقول حتى الصفات العلا وقع

حواس، خيال أو تصوّر)، والسبيل طبعاً لمعرفة هو الخبر أو السمع بواسطة الوحي. وهل كل ما يأتي عن طريق الوحي يكون مفهوماً؟ وهذا الذي أدى بالعلماء من خلال تتبع القرآن والسنة، إلى التقسيم المعروف: محكم ويجب معرفته أو العمل به، ومتشابه ويجب التسليم والتصديق له، لأن الآراء فيه متعددة، وكل طرف يجزم بأن رأيه هو الصواب مع افتقاره لدليل قطعي يلزم به غيره، ومن ثم فلا يجوز إتهام الغير.

والاختلافات التي وقعت بين علماء الأمة قديماً، كانت مقبولة في المسائل العملية (لأننا نستطيع تصوّرها وضرب الأمثال لها)، مثال ذلك: قوله ﷺ: «أَمَّا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ حَمَارًا»⁽⁴¹⁾، وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون، ولكن من حيث المعنى هو كائن⁽⁴²⁾، وعلى العكس هذه الاختلافات لم

الاختلاف في بعضها وليس في جميعها. فلماذا تؤلف الكتب بعناوين مضخمة «الأسماء والصفات» بدل أن تكون مثلاً: «الصفات المختلف فيها»؟ وهل هذا الاختلاف يخرج من دائرة أهل السنة والجماعة؟ وعلى أي دليل من الكتاب والسنة اعتمدوا؟ فالأمر خطير!!

ولماذا لا نلتزم بالأمر النبوي؟ أي: نعرف الله بالتفكر في خلقه، وليس بالتفكر في ذاته، قال النبي ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي نِعَمِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ»، وعن ابن عمر: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ»⁽⁴³⁾.

أما بالنسبة للقرآن الكريم فقد جاء الأمر واضحاً صريحاً بأن ندعوه بأسمائه الحسنی فقط، قال I: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁴⁾، وكذا النهي عن الإلحاد في أسمائه. وفي هذه الآية ذكرٌ للأسماء الحسنی: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا

تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾⁽⁴⁵⁾، وقد ذكرت الأسماء الحسنی أيضاً في المواضع الآتية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾⁽⁴⁶⁾. ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽⁴⁷⁾. لقد نهى الرسول ﷺ بشدة جمع الصحابة y عندما خاضوا في القدر، لأنه من الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل معرفتها فالتسليم لها أفضل وفيه نجاة، هذا إذا كان في القدر، أليس من باب أولى في خالق القدر؟.

وقد قال ابن العربي المالكي - رحمه الله - أحد أعلام المالكية: «شرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه أشرف المعلومات»⁽⁴⁸⁾ نجده لم يقل بصفاته، فالمعروف والمتفق عليه عند الجميع أن لكل اسم صفة، ولكن ليس بالضرورة لكل

ويحيى بن يحيى، وابن المبارك وأبي حنيفة، ومحمد بن الحسن، وأبي يوسف يتكلمون في ذلك، وينهون أصحابهم عن الخوض فيه، ويدلونهم على الكتاب والسنة⁽⁵⁰⁾.

روى أبو القاسم اللالكائي في (أصول السنة) عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما قال: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب، على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ، وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا»⁽⁵¹⁾.

وذكر الخلال في كتاب (السنة) عن حنبل وذكره حنبل في كتبه مثل كتاب (السنة والمحنة) قال حنبل: «سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى «إن الله تبارك

صفة اسم، فالأسماء تدرك معنى ومراداً، أمّا الصفات فلا تدرك معنى ومراداً بالضرورة.

. وإذا كان هؤلاء ينهون الناس عن الأخذ بمذهب مالك في مسائل الفروع في الفقه، فلماذا يقلدونه في أصول الاعتقاد. مقولة الاستواء، فإذا كان الإمام مالك رحمه الله حجة بالنسبة إليهم، فلماذا يترك مذهبه ويهجر عندهم، ويغيرون مذهب الناس الذين توارثه منذ قرون خالف عن سالف، عن إمام مدينة رسول الله ﷺ، الذي تعلمه عن الصحابة كما علمهم المصطفى عليه صلوات ربي وسلامه^{(49)؟!}

ويكفي أن مرجعيتنا هي مرجعية هؤلاء:

سئل الإمام ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات، فقال: ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين، مثل: مالك، وسفيان، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق،

وجدناهم مع عدم تحصيلهم لآلات الاجتهاد يستسهلون تكفير فلان، أو تفسيق فلان، أو تضليله. وهذا أمر لا ينبغي لهذه الأمة أيام عزها وسلطانها ووحدها، فكيف يستمرئه البعض في أيامنا هذه أيام الذلة والضيعة والتفكك والتشرذم؟، والواجب على العلماء أن لا يُشغَلُوا العامة بتلك الفروع عن طريق نشرها، وإذاعتها، وبث الفتاوى الجريئة المترتبة عليها باعتقادهم أو ظنهم، وإذا كان حال الأمة على ما وصفت، فإن الواجب يقتضي أن يُنشر بين الناس ما يجمعهم ويوحدهم وأن يُشغَلُوا بالمتفق عليه والذي غابت معانيه ومراميهِ الكبرى⁽⁵³⁾.

فبدل أن نشغل الناس بما يشئت وحدثهم بالتنازع، ولا نصل إلى أي اتفاق، لأن لنا عبرة في المتقدمين الذين أضاعوا الجهود والأوقات ولم يتفقوا، ولن يتم الاتفاق أبداً (ببساطة لأنه من المتشابه). ألم تتواتر الأحاديث أن المصطفى ﷺ

وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا» و«إن الله يُرى» و«إن الله يضع قدمه» وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبد الله: نؤمن بها ونصدق بها، ولا كيف ولا معنى، ولا نردّ منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق إذا كان بأسانيد صحاح ولا نرد على الله قوله، ولا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ليس كمثله شيء⁽²⁵⁾.

ربما أطنبت نوعاً ما في هذه النقطة، ولكن القصد منها محاولة تبيان آثار القراءة التبعية المشحونة بالتعصب، وما يترتب عليها أقل ما يقال تسفيه مرجعيات أمم وشعوب.

الاشتغال بالاختلاف في فروع العقيدة بالجملة مذموم وعلى الأخص في زماننا:

قد وجدنا لدى كثير من العامة ومن أنصاف المتعلمين والمثقفين جرأة شنيعة في الخوض في بعض فروع العقيدة المختلف فيها، وقد

تبذل نشاطها المثمر السليم. إنما المسألة أن هذه العقيدة لا تعمل إلا بجهد يبذله البشر في ذات أنفسهم وفي واقع حياتهم وتلك سنة ربانية لا سبيل إلى تغييرها، إنه بغير جهد يبذله البشر، وبغير اتخاذ الأسباب المؤدية إلى النتيجة لا تتغير أحوال الناس، والعقيدة هي الدافع الذي لا يشبهه دافع آخر في تسيير دفة الحياة البشرية، ولكنها لا تدفع إلا من يعتنقها ويُقبل عليها ويعزم على تطبيقها في واقع حياته⁽⁵⁵⁾.

نعم لا يوجد تأثير للعقيدة التي أصبحت لا تتجاوز الحناجر، ربما هذا الكلام فيه قسوة، ولكن يلزمنا مكاشفة حقيقة مع أنفسنا، حتى نستطيع تجاوز الازدواجية في شخصيتنا، أعتقد أننا نعاني من: النفاق الأخلاقي، سواء على مستوى الأسرة، أو المدرسة، أو الشارع، أو المسجد، أو العمل...، فنحن ننهى أبناءنا على خلق ونأتي بمثله!! وحتى لا نبقي شخص أو نصف

كان يطلب من الكافر عندما يريد الدخول في الإسلام: أن يؤمن بالله ولا يشرك به شيئاً فقط، أم كان يطلب منه أن يؤمن بالله وبأسمائه وصفاته؟!!

فلماذا لا نُعلم الناس ما ينفعهم ويوحدهم؟ كما قال ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»⁽⁵⁴⁾. فبذكر الله ﷻ تطمئن النفوس، والنفوس المطمئنة أكيد تحب الوحدة والنصح، وتخشى الفتنة والفرقة.

سبب عدم تأثير العقيدة في واقعنا المعاصر:

اليوم ننظر حولنا في العالم الإسلامي فلا نكاد نرى أثراً عملياً للعقيدة الإسلامية الصحيحة! فهل كُفّت عن تأثيرها؟ كلا.. إنها لا تفقد فعاليتها بحال من الأحوال، فهي المنهج الرباني المؤثر، الذي تستقيم به الحياة تلقائياً وتنتقل

(58).

إن أزمة العالم الإسلامي أزمة فكر ومن ثم أزمة منهج، فأنماط أو أشكال التفكير لدينا تحتاج إلى⁽⁵⁹⁾:
- تدريب المتعلم على النقد الذاتي بدل التفكير التبريري ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾⁽⁶⁰⁾. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾⁽⁶¹⁾.

- تدريب المتعلم على التفكير الشامل بدل التفكير الجزئي ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾⁽⁶²⁾.

- تدريب المتعلم على التفكير التجديدي بدل التفكير التقليدي ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾⁽⁶³⁾.

- تدريب المتعلم على التفكير العلمي بدل تفكير الظن والهوى ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ﴾⁽⁶⁴⁾.

- تدريب المتعلم على التفكير السنني بدل التفكير الخرافي ﴿فَلَنْ

المرض دون الإتيان بالعلاج، فأعتقد أن الحل ربما يكمن في إعادة تشكيل آليات تربيتنا لأطفالنا، وذلك ببناء مقومات الشخصية السوية الفعالة، وهذه الفاعلية لا تكون إلا بالعمل الصالح، أي بتوفر القدرة والإرادة، وبواسطتهما يتولد العمل المنتج، وهذا بعد تكوين الإنسان الصالح، وهو ثمرة عدد معين من العمليات التربوية التفاعلية التي تتكامل حسب نسق معين موجه، ويمكن أن نوجزه في المعادلات الآتية⁽⁵⁶⁾:

العمل الصالح = القدرة
التسخيرية + الإرادة العازمة
الخبرات الدينية المثل
الأعلى (أو التربية بالقدوة)
والاجتماعية والقدرات العقلية
الناضجة، والكونية المربية لأن
العمل الصالح المتقن هو علة
الخلق، ومادة الابتلاء والاختبار،
في الدنيا، ومقياس النجاة في الآخرة
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾⁽⁵⁷⁾.

بها الجميع، وهي خط أحمر وقاسم مشترك لنا جميعاً، على اختلاف أفكارنا وتصوراتنا، وقبل أن ندرج مع هذا المكوّن، يجب علينا معرفته، فما المقصود بالتاريخ يا ترى؟.

تعريف التاريخ:

فالتاريخ كما يقول بوركارت: «هو سَجَلٌ لما رآه عصر يستحق الذكر في عصر آخر»! وإذا كان التاريخ يُفهم اليوم في ضوء الحاضر، والحاضر يُفهم في ضوء الماضي، وزيادة سيطرته على مجتمع الحاضر⁽⁶⁷⁾.

عرفه المؤرخ الفرنسي شارل سنيوبوس في رسالة له 1941: التاريخ علم ما في ذلك ريب، لأننا نستطيع أن نطلق كلمة علم على كل مجموعة من المعارف المُحَصَّلة عن طريق منهج وثيق للبحث في نوع واحد معين من الوقائع، فهو علم الوقائع التي تتصل بالأحياء من الناس في مجتمع خلال توالي الأزمنة في (الماضي)⁽⁶⁸⁾.

تَجَدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجَدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٦٥﴾. سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجَدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٦﴾.

فالعقيدة هي الأمور الواضحة التي يتقبلها الناس بقناعة نفسية وفطرية وعقلية، لا يساورها أدنى شك. وليس معنى هذا أن هذا خاص بالعقيدة الإسلامية فقط، بل أي فكرة يؤمن بها صاحبها. المشكلة تكمن هل هذا الإنسان مقتنع بهذه الأمور التي يؤمن بها، وواضحة لديه، أم هي مجرد تقليد وموروث مكتسب دون تعقل؟.

المكوّن الثالث: التاريخ

بالنسبة لهذا المكوّن يجب أن تُغرس العقيدة التاريخية لوطننا للأجيال الجزائرية وفق رؤية موضوعية ومدروسة، بعيدا عن الارتجال والمزايدة لأن الوطن لجميع أبنائه، ويجب أن نغرس فيهم هوية واحدة (من خلال ثقافة وعقيدة وتاريخ واحد) يحبها ويعتز

هل هذا المنهج الوثيق يضمن
لنا الموضوعية في دراسة التاريخ؟
الموضوعية في التاريخ:

إن الموضوعية في التاريخ هي
محاولة المؤرخ التسامي فوق الرؤية
المحددة لموقفه في المجتمع وفي
التاريخ، هذا من ناحية المكان،
أما من ناحية الزمان: فيقال إن
أكثر التواريخ بقاء هي لمؤرخين
توفّر لديهم الرؤية البعيدة للماضي
والمستقبل معاً، إذ تبرز رؤيتهم
للمستقبل ويقتربون من فهمه بطريقة
تمنحهم نفاذاً للماضي أشد عمقاً
وأعظم دواماً، وهكذا يقتربون من
الموضوعية. والتقدّم في التاريخ
يتمّ عن طريق الاعتماد المتبادل
والتفاعل المتبادل بين الوقائع
والقيم، والمؤرّخ الموضوعي هو
الأعمق نفاذاً في هذه العملية
المتبادلة⁽⁶⁹⁾.

كيف يمكن أن نفهم التاريخ؟
إن الأحداث التاريخية ليست إلّا

ألواناً من الفلسفة المعروضة بطريق
التمثيل، كما قالوا بأن التاريخ صور
للماضي غير متكررة، وبأنه لا يعيد
نفسه أبداً، وبأنه لا يمكن فهمه
والإفادة منه إلّا عن طريق المقارنة
الذي اتخذه القانونيون سبيلاً لفهم
أصول الشرائع والقوانين في مختلف
الأمم⁽⁷⁰⁾.

والتاريخ كذلك هو المدخل
المأمون للقوانين التي تعين على حلّ
تلك المشكلات. إن الطب يخرج
الأطباء، والهندسة تُعدّ المهندسين،
والكيمياء تمدنا بالكيمائيين، ولكنها
وغيرها من العلوم المادية لا تشمل
اشتغال التاريخ على قيمة تثقيفية
وتربوية، وكلاهما لازم ليكتمل
المواطن المفيد، بقطع النظر عما
يقوم به المواطن من عمل مهني
نافع لا مشاحة في منفعته...⁽⁷¹⁾.

فإن التاريخ خميرة المستقبل،
ونحن أمة ذات تاريخ فذ جدير بأن
نفخر به ونستمد منه المثل العليا،
ونتخذه منطلقاً للنهوض من كبوتنا،

وبالتالي أمتنا، يجب علينا الحفاظ على تراثنا التاريخي، وذلك بعد معرفة ثقافتنا التاريخية، فما معناها؟

معنى الثقافة التاريخية:

الثقافة التاريخية قد تكون معارف متنوّعة، أو معرفة مُوحّدة متماسكة. وكلما تحقّقت المعرفة بالتدقيق والنقد والمقارنة والمقابلة، كانت الثقافة التاريخية أصحَّ علمًا وأفعل أثرًا في سلامة النظر واعتدال الحكم. والثقافة التاريخية ملكات عقلية تتولّد خلال المجاهدة لاكتساب المعرفة التاريخية، وهي وسائل لاكتسابها وضوابط لضمان سلامتها ودوافع لاستمرار نموها وتوسّعها. والثقافة التاريخية بواعث نفسية وفضائل خلقية تنمو في الإنسان وتطبع شخصية بكاملها⁽⁷⁴⁾.

مزايا الثقافة التاريخية:

إن الثقافة التاريخية . وهي خلاصة ما ينجني الإنسان من جهود في استكشاف الماضي . عامل فعّال

واسترداد مكانتنا... واعتبروا التاريخ الإسلامي الرائع أحد "المنابع" التي يجب "تجفيفها" ليحولوا بين المسلمين وبين أحد مصادر شموخهم ونهضتهم⁽⁷²⁾.

خطورة وأهمية التاريخ في حياة الأمم:

يقول المستشرق شاتلي: «إذا أردتم أن تغزوا الإسلام، وتخذوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتي كانت السبب الأوّل والرئيس لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم؛ فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم، والأمة المسلمة بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم، وكتابهم (القرآن) وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي»⁽⁷³⁾.

ومن أجل الحفاظ على هويتنا

في تكييف نظرتة، وتحديد اتجاهه بالنسبة إلى الحياة بكاملها ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا⁽⁷⁵⁾.

فالتاريخ هو عبارة عن تركة وميراث شرعي، يترك للأبناء عن طريق الآباء، فكيف تتم مراحل عملية نقل هذه التركة لوارثيها؟ التاريخ يبدأ بتوريث التقاليد، وهي تعني نقل عادات الماضي ودروسه وضوء خبراته إلى المستقبل والعكس، وهذان هما اللذان يبرزان التاريخ ويفسرانه. ويُقال إنّ المجتمع الذي يفقد اعتقاده في قدرته على التقدم في المستقبل، سيتوقف سريعًا عن العناية بمتابعة تقدمه في الماضي⁽⁷⁶⁾.

غريزة أن نكون شيئًا مذكورًا:

اذهب إلى المدارس، وانظر إلى ما تخطه أنامل الصغار حينما تتعلم الكتابة.. إنهم يحفرون أسماءهم على حوائط المدرسة، على الأبواب والنوافذ... إنها الرغبة في أن يكون لهم تاريخ. وليس أدل على تأصل

هذه الرغبة في الفطرة البشرية من أننا اليوم ندرس تاريخ الكتابة عن طريق كتابة التاريخ⁽⁷⁷⁾! فلماذا لا نستغل هذه الرغبة الدفينة في أبنائنا، لملئها بتاريخنا المجيد الحافل بالبطولات في جميع محطاته؟.

طرق تغلغ السموم الفكرية لشبابنا:

اتخذ أصحاب الغزو بجميع أنواعه، أشكالاً وصوراً مختلفة، واستعملوا للوصول إلى أهدافهم الإستراتيجية، ومن أجل تحقيق ذلك:

- التستر وراء قناع الاتفاقيات الدولية.
- الابتزاز السياسي للدول.
- شراء الذمم برؤوس الأموال.
- صناعة الإرهاب وأدليجته.

ذكرنا سابقًا في بناء مقومات الشخصية الوطنية الفعالة، عنصر المثل الأعلى أو التربية بالنماذج الشخصية التي من خلالها نصنع أجيال المستقبل، لذلك يجب علينا

في أفضل الأكاديميات الحربية،
بخطتهم الدقيقة والمحكمة،
وبتخطيط استراتيجي استشرافي لم
يصل إليه حتى الذين درسوا في
أكبر الجامعات.

الصدى العالمي للثورة:

فالثورة الجزائرية ومن خلالها
بيانها النوفمبري، الذي جسده
أبنائها، كان لها البعد العالمي
والإفريقي والعربي والمغاربي،
الذي جاء فيه: تدويل القضية
الجزائرية - تحقيق وحدة شمال
إفريقيا في إطارها الطبيعي وهو
العروبة والإسلام - وتأكيد محبتنا
في إطار ميثاق هيئة الأمم المتحدة
لجميع الشعوب، التي تؤيد حركتنا
التحريرية⁽⁷⁹⁾. فهذه الثورة هي آخر
المراحل إشعاعاً في تاريخ الجزائر
الحديث - بإذن الله تعالى - ضد
الاستعمار الخارجي، وسوف تبقى
صمام أمان لوطننا، لكل من تسول
له قوته بأن يتعدى على حرمة هذا
الوطن، كما سوف تكون - هذه

التركيز على نماذجنا الوطنية والتي
هي أيضاً تعد صمام أمان لأبنائنا
ومن ثم لوطننا...
الجزائر توحى لأبنائها، ومنهم
ابن خلدون - رحمه الله - :

وإذا كان ابن خلدون انغمس في
حياة سياسية حافلة سواء في بلاط
المرينيين بفاس أو الحفصيين في
تونس... ففي قلعة بني سلامة في
ولاية وهران غربي الجزائر وفي
تلك الخلوة (من 776هـ إلى 780هـ)
كتب "مقدمته" والتي اشتهرت
بمقدمة ابن خلدون، التي قال عنها
هو: «سالت فيها شآبيب الكلام
والمعاني على الفكر حتى امتحنت
زبدتها وتألفت نتائجها، على ذلك
النحو الذي اهتديت إليه في تلك
الخلوة»⁽⁷⁸⁾.

ومنهم جيل نوفمبر رحمهم الله
الجزائر هذه الأم الحنون
الملهمة لأبنائنا عندما يرونها،
ألهمت جيل الثورة بقدرات خارقة
لم يمتلكها حتى الذين تعلموا

مرحلة التجميع، كما تعد ظاهرة المذكرات التي تكتب من بعض صنّاع التاريخ تعدّ ظاهرة صحية، ويجب تشجيعها.

ثم بعد ذلك تأتي المرحلة الثانية، وهي مرحلة النقد، التي يجب أن تكون من أهل الاختصاص للقيام بنقد الأحداث من خلال المقارنة والفرضيات... دون شخصنة القراءة التاريخية، والتجاوز عن الأخطاء التي لها ظروفها وأسبابها، لأن ما من مجهود بشري إلا وله جانب إيجابي وآخر ضده، وإنما نحن ننظر للجانب المشرق فيه ونشجع صاحبه، ونستدرك عليه الأخطاء ونعذره عليها، ونحذر نحن منها مستفيدين من هذه التجربة التي لم نعانِ منها! ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة النهائية، وهي مرحلة التركيب والعرض، وبعدها تقدم المادة التاريخية لشبابنا مصنعة في أحسن صورة وفي أفضل شكل بحيث نحدث الرغبة الملحة لهم

الثورة المجيدة - بداية لثورات البناء والتشييد - إن شاء الله . .

يجب علينا أن نُحدث عملية تفاعل متبادل بين شبابنا ووقائع التاريخ، أو الإشراف على عملية الحوار بين الحاضر والماضي، ليس حواراً من أفراد مجردين منعزلين، بل بين مجتمع اليوم ومجتمع الأمس، ونقل هذا الحوار لمجتمع المستقبل بكل أمانة وصدق، وخاصة أن صفحات تاريخنا عبر مراحل مشرّفة ولا نخجل بها على عكس بعض الأمم، فما علينا إلا التجرد للموضوعية، والقراءة الواقعية له. كيف نكوّن المصداقية التاريخية لشبابنا؟

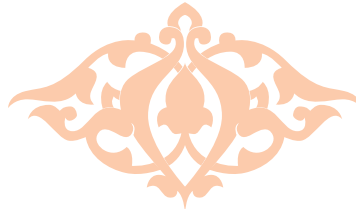
عملية التأليف التاريخي في صورته الناضجة كما يذكر المؤرخون تمر بثلاث مراحل، وهي: التجميع، النقد، التركيب والعرض. والدولة الجزائرية من خلال وزارة المجاهدين وخاصة في هذه الفترة الأخيرة قد قطعت أشواطاً كبيرة في

مؤسسات المعاهد الوطنية للتكوين المتخصص للأسلاك الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف. هذا من ناحية تعميم تدريس تاريخ الأمة في مؤسسات التعليم ومؤسسات التكوين في جميع الوزارات. أما على مستوى المشرفين على التعليم أو التكوين فيجب أن يستشعروا أهمية دورهم وخطورته وذلك عن طريق مرافقتهم ومتابعتهم.

هذا ما أردت أن أشارككم به، وتبقى رؤية فردية ومسألة الهوية مسألة جماعية، وبالتالي فهي تحتاج إلى مشاركة الجميع، لتنمية ما هو موجود وإضافة ما هو مفقود، وتوريثه لأجيال جزائر الغد.

- شبابنا - لمعرفة تاريخهم وحبه والاعتزاز به والدفاع عنه.

وأعتقد أن هذا لا يتأتى لنا إلا بتدريس هذا التاريخ المشرف في جميع المراحل التعليمية، أي من الابتدائي إلى الجامعة ولجميع التخصصات، فعلى سبيل المثال في الجامعة تخصص علمي ما يجب أن يدرس ساعتين على الأقل في الأسبوع وبمعامل (2) على الأقل أيضاً حتى لا يهمل. كما يجب أن يدرس في جميع مؤسسات التكوين سواء كانت مؤسسات الشباب والرياضة أو مؤسسات الجيش أو مؤسسات التكوين المهني...، وقد لمسنا نجاعة هذه التجربة في



الهوامش

- (1) المعجم الفلسفي - مجمع اللغة العربية، المطابع الأميرية - القاهرة 1403هـ/1983م، ص 208.
- (2) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر- بيروت، ج 5 ص 375 - 376.
- (3) المصدر نفسه، ج 5 ص 207.
- (4) كنتُ أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقيهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه، فلما قدّم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء غدا عليه أبي وعمي مغلسين، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأثيا كالين ساقطين، يمشیان الهوينی، فهششت إليهما كما كنتُ أصنع فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم، وسمعتُ عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال عمي: أتعرفه وتثبته؟ قال: فما في نفسك؟ أجاب: عداوته والله ما بقيت“ (السيرة النبوية لابن هشام: 52/3، دار الجيل - بيروت ط 1 - 1411هـ).
- (5) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي - القاهرة، ج 2 ص 107.
- (6) الثقافة ومآسي رجالها، د/محمد بن عبد الكريم الجزائري، شركة الشهاب - الجزائر، ص 21 - 22.
- (7) المصدر نفسه، ص 25 - 26.
- (8) المصدر نفسه، ص 42 - 56 بتصرف.
- (9) مدخل إلى التنمية المتكاملة - رؤية إسلامية - د/عبد الكريم بكار، دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية 2001 م، ص 60.
- (10) المصدر نفسه، ص 115 - 116.
- (11) نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، د/عبد الكريم بكار، دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية 2001 م، ص 20 - 28.
- (12) ينظر: المصدر نفسه، ص 45 - 51.
- (13) ينظر: المصدر نفسه، ص 60 - 65.
- (14) ينظر: المصدر نفسه، ص 53 - 58.
- (15) مدخل إلى التنمية المتكاملة - رؤية إسلامية - د/عبد الكريم بكار، ص 161 - 165.
- (16) المصدر نفسه، ص 53.
- (17) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، أد/عبد الكريم بكار، دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية 2001 م، ص 69 - 70.
- (18) مدخل إلى التنمية المتكاملة - رؤية إسلامية - د/عبد الكريم بكار، ص 33.
- (19) ينظر: المصدر نفسه، ص 33.
- (20) المصدر نفسه، ص 55.
- (21) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، أد/عبد الكريم بكار، ص 242.

- (22) مدخل إلى التنمية المتكاملة - رؤية إسلامية
- د/عبد الكريم بكار، ص 121.
- (23) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أد/عبد
الكريم بكار، دار القلم - دمشق، الطبعة
الثانية 2001م، ص 123.
- (24) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أد/عبد
الكريم بكار، ص 134.
- (25) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د/
عبد الكريم بكار، دار القلم - دمشق، الطبعة
الثانية 2001م، ص 121.
- (26) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أد/عبد
الكريم بكار، ص 117.
- (27) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أد/عبد
الكريم بكار، ص 117 بتصرف.
- (28) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د/عبد
الكريم بكار، ص 300.
- (29) العقيدة في الله، أد/عمر سليمان عبد الله
الأشقر، دار النفائس، طبعة خاصة بمصر
والمغرب العربي واليمن، 1429 هـ/2008
م، ص 11. وينظر أيضاً: رسالة العقائد،
للشيخ حسن البنا، ومجموع الرسائل ص
429.
- (30) سورة المائدة/1.
- (31) لسان العرب، لابن منظور، مادة عقد ج 2
ص 836.
- (32) ينظر: لسان العرب، مادة(عقد) 295/3
. 300، والقاموس المحيط، مادة(عقد)
- 327/1 . 328.
- (33) عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين،
د/علي محمد الصلابي مؤسسة اقرأ الطبعة
الأولى، 1428 هـ/2007 م، ص 13. وينظر
أيضاً: معجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر
أبي زيد، ص 242.
- (34) القانون في عقائد الفرق والمذاهب
الإسلامية، د/محمد نعيم محمد هاني ساعي
أستاذ الفقه وأصوله . الجامعة الأمريكية
المفتوحة الولايات المتحدة الأمريكية، دار
السلام، الطبعة الأولى 1428 هـ/2007 م،
ص 278 . 279 بتصرف.
- (35) سورة البقرة/285.
- (36) كتاب العقيدة في الله، أد/عمر سليمان عبد
الله الأشقر، ص 12.
- (37) سورة البقرة/177.
- (38) سورة النساء/136.
- (39) ينظر صحيح البخاري بشرحه فتح الباري:
114/1، ومسلم في صحيحه: 39/1،
ورقمه 5، واللفظ لمسلم.
- (40) القانون في عقائد الفرق والمذاهب
الإسلامية، د/محمد نعيم محمد هاني
ساعي، ص 280 بتصرف.
- (41) أخرجه البخاري في الأذان(691) ومسلم
في الصلاة(427) عن أبي هريرة t.
- (42) قال الإمام حجة الإسلام الغزالي: في الجزء
الأول من كتابه(إحياء علوم الدين) عند

كلامه على نسبة العلم الظاهر إلى الباطن، وأقسام ما يتأتى فيه الظهور والبطون، والتأويل وغير التأويل: القسم الثالث: أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر، ولكن يكتنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز، ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب... ومنه قوله ﷺ: «أَمَّا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ حِمَارًا»، وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون، ولكن من حيث المعنى هو كائن، وإذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته وكونه وشكله بل بخاصيته، وهي البلادة والحمق، ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس الحمار في معنى البلادة والحمق، وهو المقصود دون الشكل.

(34) أخرجه أبو نعيم، تهذيب سنن أبي داود، ج 2 ص 398. وأخرجه أبو الشيخ وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير عن ابن عباس 2976. وحسنه كذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما. هناك روايات أخرى تذكر النهي عن التفكير في ذات الله.

(44) سورة الأعراف/180.

(45) سورة الإسراء/110.

(46) سورة طه/8.

(47) سورة الحشر/24.

(48) أحكام القرآن لابن العربي، دار الكتب

العلمية بيروت. لبنان، ج 2 ص 993.

(49) القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، د/محمد نعيم محمد هاني ساعي، ص 419 بتصرف.

(50) فصول في العقيدة بين السلف والخلف (آيات وأحاديث الصفات - الأولياء وكراماتهم - القبور ومبدعاتها - التوسل)، د/يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية 1427هـ/2006م، ص 46. وينظر: حسن البنا في أصوله العشرين. وأقوايل الثقات، ص 55. 62.

(51) فصول في العقيدة بين السلف والخلف، د/يوسف القرضاوي، ص 29.

(52) البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، ج 2، ص 66. ينظر: فصول في العقيدة بين السلف والخلف، د/يوسف القرضاوي، ص 30. وينظر: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة 35.

(53) القانون في عقائد الفرق والمذاهب الإسلامية، د/محمد نعيم محمد هاني ساعي، ص 290.

(54) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (7563)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (2694) عن أبي هريرة t.

(55) منهج علم التوحيد - لطلاب المعاهد الإسلامية - تأليف محمد قطب، ج 3،

(70) مقال: التاريخ في الشرق الأوسط، محمد مصطفى زيادة، مجلة رسالة الإسلام، دار التقريب بين المذاهب - القاهرة، السنة الثانية، العدد الثالث رمضان سنة 1369 هـ/ يوليو 1950م.

(71) المدخل إلى التاريخ الإسلامي، د/محمد فتحي عثمان، ص 48 - 49.

(72) حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان - الإسكندرية، ص 5 بتصرف.

(73) حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، ص 5. وينظر: من غزو العالم الإسلامي، للمستشرق شاتلي، ص 264.

(74) المدخل إلى التاريخ الإسلامي، د/محمد فتحي عثمان، ص 47.

(75) المدخل إلى التاريخ الإسلامي، د/محمد فتحي عثمان، ص 45.

(76) المدخل إلى التاريخ الإسلامي، د/محمد فتحي عثمان، ص 45.

(77) المدخل إلى التاريخ الإسلامي، د/محمد فتحي عثمان، ص 55 - 56 بتصرف.

(78) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، طبعة 2002 م، ص 13 بتصرف.

(79) جريدة المقاومة الجزائرية، ميثاق الثورة، عدد 01، 01 نوفمبر 1956 م، وزارة الإعلام والثقافة 1984 م، ص 4.

الطبعة السادسة، 1410 هـ/ 1990 م، طبع دار البعث قسنطينة - الجزائر، ص 223.

(56) هذا المخطط منقول من كتاب: مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، د/ ماجد عرسان الكيلاني، كتاب الأمة - قطر، الطبعة الأولى (بدون سنة)، ص 49 بتصرف.

(57) سورة الملك/2.

(58) مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، د/ماجد عرسان الكيلاني، ص 41.

(59) مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، د/ماجد عرسان الكيلاني، ص 57 - 65 بتصرف.

(60) سورة الشورى/30.

(61) سورة النجم/32.

(62) سورة يونس/39.

(63) سورة الزخرف/23.

(64) سورة النساء/157.

(65) سورة فاطر/43.

(66) سورة الأحزاب/62.

(67) المدخل إلى التاريخ الإسلامي، د/

محمد فتحي عثمان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ/ 1988 م، ص 45.

(68) المدخل إلى التاريخ الإسلامي، د/محمد فتحي عثمان، ص 63.

(69) المدخل إلى التاريخ الإسلامي، د/محمد فتحي عثمان، ص 41 - 42.